

مفهوم الأورام السرطانية وطرق علاجها في ضوء كتابات المجموعة الأبقراطية Concept of Cancerous Tumors and Its Treatment Methods in Corpus Hippocraticum

ريهام رفاعي علي محمود عثمان (*)

الملخص

يتميز السرطان بأنه مرض خبيث يصيب الخلايا، والتي تنمو بشكل غير طبيعي وتنتشر في مناطق أخرى من الجسم. وتشير الكتابات الأدبية القديمة إلى أن الأورام الخبيثة رافقت البشرية منذ القدم، وهناك بعض الحالات المرضية التي تم تشخيصها على أنها سرطانات. ولعل من أشهر الأعمال الأدبية التي ذكر فيها مصطلح السرطان هي المصادر الكلاسيكية، حيث ذكر مصطلح السرطان- لأول مرة - في كتابات المجموعة الأبقراطية. يُعد هيبوكراتيس هو أول من أشار بالمصطلح *καρκίνος* -والذي يعني سرطان البحر- إلى الأورام الخبيثة ، وهو الاسم الذي مازال مستخدمًا حتى يومنا هذا. وهناك مصطلح آخر تم استخدامه من أجل الإشارة إلى الأورام السرطانية في كتابات المجموعة الأبقراطية وهو "*καρκίνωμα*" الذي يعني "تكوين كتل سرطانية". وستحاول هذه الورقة البحثية دراسة النصوص المتاحة من كتابات المجموعة الأبقراطية التي ورد فيها المصطلحان، وذلك من أجل الوقوف على مفهوم الورم الذي أطلق عليه هيبوكراتيس وتلاميذه كلمة سرطان، لمعرفة عما إذا توصل الطبيب اليوناني بالفعل- إلى تشخيص السرطان تشخيصًا دقيقًا يتوافق مع مفهومه في الطب الحديث؟ أم اختلف مفهوم السرطان قديمًا عن المفهوم المعاصر؟

الكلمات المفتاحية: الأورام- الأورام الخبيثة - *καρκίνος* - *καρκίνωμα* - علاج السرطان

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الأورام وطرق علاجها في ضوء المصادر الكلاسيكية]، وتحت إشراف: أ.د. عمرو عبدالمنعم محمود شريف- كلية الطب - جامعة عين شمس & أ.د. مجدي صبحي الهواري - كلية الآداب - جامعة المنصورة & أ.د. محمد رفيق خليل (رحمه الله) - كلية الطب - جامعة الإسكندرية & أ.د. عبد العزيز إمام محمود- كلية الآداب - جامعة المنصورة.

Abstract

Cancer is a disease that affects cells, characterized by their abnormal growth and their ability to spread to other parts of the body. Although the science of oncology is relatively new, with the invention of the microscope in the 18th century, there is evidence that cancer has been present in humans since ancient times. For example, the ancient Greeks and Romans had words for cancer, and they described the symptoms and treatments of the disease. The Hippocratic Corpus is one of the earliest sources to mention cancer. Hippocrates was the first to call malignant tumors "cancer," which is a name that is still used today. In Hippocratic Corpus, two terms are used to refer to cancer: *καρκίνος*, which means "cancer," and *καρκίνωμα*, which means "formation of cancerous masses. In this research paper, we will try to analyze the paragraphs in which these terms are mentioned, and we will analyze them linguistically and medically in terms of the symptoms and treatments mentioned. This will help us to determine the meaning of each term, and whether the diagnoses mentioned by Hippocrates were accurate referring to cancerous tumors? Or another mass disease?

Keywords: Tumors- Malignant Tumors - *καρκίνος*- *καρκίνωμα*- Cancer Treatment.

المقدمة

يُعد السرطان- وفقاً لمنظمة الصحة العالمية- هو ثاني سبب للوفاة في جميع أنحاء العالم، وكان ولازال هذا المرض هو واحد من أخطر الأمراض التي تواجه البشرية ويصعب علاجه. أما عن تاريخ المعرفة بهذا الورم؛ فيعد الطبيب اليوناني هيبوكراتيس (٤٦٠- ٣٧٧ ق.م) يُعد هيبوكراتيس هو أول من أشار بالمصطلح *καρκίνος*-والذي يعني سرطان البحر- إلى الأورام الخبيثة ذات المآل السيئ والتي يصعب علاجها في بعض الحالات التي قام بوصفها. كما قام هيبوكراتيس وتلاميذه بوصف أعراض ذلك الورم وقدموا طرق علاجية له.

استند هذا البحث إلى نتائج العديد من الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ السرطان، وساهمت في بناء إطاره النظري. ومن أبرز هذه الدراسات:

- McAleer, S. (2022). A history of cancer and its treatment.

تُقدّم هذه الدراسة نظرة عامة لتاريخ الأورام السرطانية، بدءًا من هيبوكراتيس وصولاً إلى العصر الحديث، وقدمت الدراسة الحالات السرطانية – بمفهوم السرطان الحديث- عند هيبوكراتيس، لكن لم تقدم دراسة لمفهوم السرطان لدى أطباء المجموعة الأبقراطية.

- Chanu, M. T., & Singh, A. S. (2022). Cancer disease and its understanding from the ancient knowledge to the modern concept.

ركزت هذه الدراسة على عرض حالات السرطان عبر العصور، بدءًا من العصور القديمة وصولاً إلى المفاهيم الحديثة، بينما اكتفى الباحثون أيضًا بذكر فقط الحالات التي تتوافق مع مفهوم السرطان الحديث.

- Lukong, K. E. (2017). Understanding breast cancer – The long and winding road.

تطرقت هذه الدراسة إلى تاريخ الأورام الخبيثة في الثدي على وجه التحديد.

وتُساهم هذه الورقة البحثية في سدّ بعض الفجوات الموجودة في المعرفة حول تاريخ مفهوم السرطان، وتقدّم رؤية جديدة حول دور الطب الأبقراطي في فهم هذا المرض؛ إذ يقدم هذه البحث دراسة مصدرية وشاملة لدراسة كافة النصوص التي ورد بها مصطلح السرطان. كما تتميز هذه الدراسة بتتبع أعمال الشراح الذين قاموا بشرح وتفسير أعمال الطبيب اليوناني هيبوكراتيس، الأمر الذي لم تُول الدراسات السابقة اهتمامًا كافيًا به.

أصل مصطلح السرطان في الكتابات اليونانية

تم استخدام المصطلح اليوناني "καρκίνος" من أجل الإشارة إلى أحد أنواع أمراض الأورام لأول مرة في كتابات المجموعة الأبقراطية^١. وجاء هذا المصطلح في الأصل بمعنى "سرطان البحر"^٢؛ فقد عرف الإغريق أنواعًا مختلفة من سلطعون البحر ظهرت في أساطيرهم وعلى عملاتهم^٣؛ حيث كان سرطان البحر يوجد بوفرة في الجزر

^١ المجموعة الأبقراطية Corpus Hippocraticum هي مجموعة الأعمال المنسوبة إلى هيبوكراتيس وأتباعه، وهي عبارة عن ستون رسالة في الطب مكتوبة باللهجة الأيونية، وتتسم كل هذه الأعمال بالاتجاه العقلاني في الطب والذي كان هيبوكراتيس رائدًا له. وعلى الرغم من وحدة هذه المجموعة في الاتجاه العقلاني، إلا أننا نجد أن بعضًا من هذه الأعمال قد تختلف عن الأخرى بل وقد يصل بعضها إلى حد التناقض، مما يؤكد أن هذه الأعمال هي ليست من نتاج مؤلف واحد بل عدة مؤلفين ومن المرجح أن الأغلبية العظمى لهذه الأعمال كتب بين عامي ٤٢٠-٣٥٠ ق.م. للمزيد راجع: سارتون، جورج، ج ٢ (٢٠١٠): ص ٢٤٤ وما يليه

^٢ Liddle and Scott, Greek- English Lexion, New York, S.V. καρκίνος

^٣ زايد، مصطفى (١٩٩٧): ص ٢٧ و ٢٨. ظهر سلطعون البحر في الأساطير والفن اليوناني؛ ففي العمل الثاني من أعمال هيراكليلس الخارقة وهو قتل الهيدرا Hydra إفعوان ليرنا (مستنقعات تقع بين نهر يونتينيوس وأميموني بالقرب من منطقة أرجوس) ظهر سرطان البحر لنجدة زميله الهيدرا وتمكن السلطعون من عض هيراكليلس، ولكن قام البطل بتحطيم السلطعون بقدمه، ثم طلب البطل المساعدة من يولوس الذي أشعل النيران في الأشجار المجاورة وعندما قام هيراكليلس ببتن رأس الأفعوان قام يولوس بكي مكان الرأس بالنار حتى لا تنبت رؤوسًا جديدة لهذا الوحش. وقيل أن الإلهة هيرا -التي قد أرسلت

اليونانية وعلى ساحل بلاد اليونان، وكانت الاسم الك والمأكولات البحرية تشكل جزءًا كبيرًا من نظامهم الغذائي.¹

ويعد هيبوكراتيس هو أول من أطلق اسم سرطان **καρκίνος** على أحد أنواع الأورام؛ وذلك بسبب التشابه بين الأوردة التي تمتد من وإلى هذا الورم وبين مخالب سرطان البحر. حيث يخبرنا جالينوس في مؤلفه "عن الطرق العلاجية إلى جلاوكو Ad Glaucnem de Methodo Medendi" عن شكل هذا الورم -الذي يصنفه جالينوس بأنه ورم غير طبيعي- الذي يشبه سرطان البحر فيقول:

“ἐπὶ δὲ τῶν τιθῶν εἶδομεν πολλάκις ἀκριβῶς ὄγκον ὅμοιον
καρκίνῳ ζῳῳ. καθάπερ γὰρ ἐπ’ ἐκείνου πόδες ἐκατέρωθεν
εἰσι τοῦ σώματος, οὕτω καὶ ἐπὶ τοῦδε τοῦ πάθους αἱ φλεβὲς
ἀποτεταμέναι τοῦ παρὰ φύσιν ὄγκου τὸ σχῆμα καρκίνῳ παρα-
πλήσιον ἐργάζονται.” [Galen. Ad Glaucnem de Methodo Medendi. ١١. 140
ll. 18ff]

"لقد رأينا كثيرًا في حلمتي الثدي ورماً مشابهًا لحيوان السرطان بالضبط؛ فكما أن له (سرطان البحر) أرجل على جانبي جسده، كذلك فإن الأوردة الممتدة تجعل من شكل الورم غير الطبيعي شكلًا يشبه إلى حد كبير شكل سرطان البحر."

سلطعون البحر- قد كافت سلطعون البحر على دوره في إنقاذ أفعوان هيدرا فجعلته واحدًا من الأبراج السماوية.

¹ Haddow, A. (1936). "Historical Notes on Cancer from the MSS of Louis Westenra Sambon" P. 24

أما مصطلح **καρκίνωμα**¹ والذي يعني تكوين ورم سرطاني فهو مشتق من الفعل **καρκίνωω**² بمعنى (يتحرك مثل سرطان البحر)، إذ اعتقد الإغريق أن طريق انتشار هذا الورم في الجسم تشبه الحركة الجانبية للسلطعون كما اتضح من النص السابق.

• أسباب مرض السرطان في الفكر الطبي اليوناني

اعتمد الفكر الطبي في العالم اليوناني على الفلسفة الطبيعية، حيث اعتبر أن الإنسان جزء من الكون وأن جسمه يخضع لنفس القوانين الفيزيائية التي يخضع لها الكون، وعليه فقد تم تفسير أسباب حدوث الأمراض في ضوء نظرية الأخلاط الأربعة، التي ربطت صحة الإنسان ومرضه بالبيئة المحيطة به. إذ ذهب هيبوكراتيس وأتباعه إلى أن جسم الإنسان يتألف من أربعة أخلاط هي: الدم **τὸ αἷμα**، والبلغم **τὸ φλέγμα**، والمرارة الصفراء **ἡ χολή ξανθὴ**، والمرارة السوداء **ἡ χολή μέλαινα**⁴، وهي عبارة عن أربعة سوائل تفرزها أعضاء الجسم، القلب والدماغ والكبد والطحال على التوالي، وتتحرك هذه الأخلاط في الجسم حركة مستمرة من خلال الدورة الدموية. فيتمتع الإنسان بصحة جيدة عندما تمتزج هذه الأخلاط معًا وتتناسق على نحو وافي في القوة والكمية، وينتج الألم في حالة نقصان أو فائض في أحد هذه السوائل، أو في حالة عزل أحدهم في الجسم دون امتزاج مع السوائل الأخرى.⁴

¹ Liddle and Scott, Greek- English Lexion, New York, S.V. καρκίνωμα

² Liddle and Scott, Greek- English Lexion, New York, S.V. καρκίνωω

³ تعتمد نظرية الأخلاط الأربعة على نظرية العناصر الأربعة التي نادى بها الفيلسوف اليوناني انبادوقليس، حيث ذهب إلى أن هناك أربعة عناصر يتألف منها جميع الأشياء وهي النار **το πυρ**، والماء **το υδωρ**، والتراب **η γη**، والهواء **ο αηρ**. للمزيد أنظر (Empedocles The Fragments , Fr. 6).⁴ يخبرنا هيبوكراتيس في الفقرة الرابعة مؤلفه "عن طبيعة الإنسان De Natura Hominis" عن السوائل التي يتألف منها جسم الإنسان وارتباطها بالتمتع بالصحة أو الشعور بالألم فيقول:

" Τὸ δὲ σῶμα τοῦ ἀνθρώπου ἔχει ἐν ἑωυτῷ αἷμα καὶ φλέγμα καὶ χολὴν ξανθὴν τε καὶ μέλαιναν, καὶ ταῦτ' ἐστὶν αὐτέω ἡ φύσις τοῦ σώματος, καὶ διὰ ταῦτα ἀλγέει καὶ ὑγιαίνει. Ὑγιαίνει μὲν οὖν μάλιστα, ὀκόταν μετρίως ἔχη ταῦτα τῆς πρὸς ἄλληλα κρήσιος καὶ δυνάμιος καὶ τοῦ πλήθεος, καὶ μάλιστα μεμιγμένα ἢ ἀλγέει δὲ

ولا تعتمد صحة الإنسان -وفقًا لمذهب هيبيكراتيس- على التوازن الداخلي في نسب هذه الأخلاط في الجسم فحسب، بل وأيضًا على التوازن الخارجي بين طبيعة الإنسان وطبيعة الكون المحيط به؛ إذ أن هناك عوامل خارجية تؤثر في نسب هذه الأخلاط داخل الجسم، وتجعل منها أمرًا غير ثابت. وتتمثل هذه العوامل في العوامل الطبيعية مثل تغير الفصول الأربعة، وطبيعة الموقع الجغرافي، ومياه الشرب، والرياح، وعوامل أخرى مثل المرحلة العمرية (السن) وطريقة النظام الغذائي وأسلوب المعيشة، وهذا ما يتضح من الفقرة الآتية التي يقول فيها هيبيكراتيس :

“Φύσιες δὲ ὡς πρὸς τὰς ὥρας, αἱ μὲν πρὸς θέρος, αἱ δὲ πρὸς χειμῶνα εὖ καὶ κακῶς πεφύκασιν, αἱ δὲ πρὸς χώρας καὶ ἡλικίας καὶ διαίτας καὶ τὰς ἄλλας καταστάσεις τῶν νούσων ἄλλαι πρὸς ἄλλας εὖ καὶ κακῶς πεφύκασιν.” [Hippocrates. De humoribus. XVI . LL.

1-٤]

ὀκόταν τι τουτέων ἔλασσον ἢ πλέον ἢ ἡ χωρισθῆ ἐν τῷ σώματι καὶ μὴ κεκρημένον ἢ τοῖσι ζύμπασιν. Ἀνάγκη γὰρ, ὀκόταν τι τουτέων χωρισθῆ καὶ ἐφ' ἐωυτοῦ στηῆ, οὐ μόνον τοῦτο τὸ χωρίον, ἔνθεν ἐξέστη, ἐπίνοσον γίνεσθαι, ἀλλὰ καὶ ἔνθα ἂν ἐπιχυθῆ, ὑπερπιμπλάμενον ὀδύνην τε καὶ πόνον παρέχειν. Καὶ γὰρ ὅταν τι τουτέων ἔξω τοῦ σώματος ἐκρυῆ πλέον τοῦ ἐπιπολάζοντος, ὀδύνην παρέχει ἢ κένωσις. Ἦν τ' αὖ πάλιν ποιήσεται ἔσω τὴν κένωσιν καὶ τὴν μετάστασιν καὶ τὴν ἀπόκρισιν ἀπὸ τῶν ἄλλων, πολλὴ αὐτέφω ἀνάγκη διπλῆν τὴν ὀδύνην παρέχειν κατὰ τὰ εἰρημένα, ἔνθεν τε ἐξέστη καὶ ἔνθα ὑπερέβαλεν." Hippocrates. De natura hominis IV. LL. 1-14

"يتألف جسم الإنسان من الدم والبلغم والمرارة الصفراء والمرارة السوداء، وهذه هي طبيعة جسده، ومن خلالها يشعر الإنسان بالألم والصحة. فيتمتع الإنسان بأفضل صحة عندما تكون هذه (الأخلاط) متناسقة مع بعضها على نحو واف في الكمية والقوة والنسبة، وخاصة عندما تختلط تمامًا، بينما يشعر الإنسان بالألم إذا كان بعضها في حالة نقصان أو فائض أو في حالة عزله في الجسم دون اختلاط مع العناصر الأخرى. لأن عندما ينزل أحد العناصر ويقف بمفرده فلا يمرض بالضرورة المكان الذي تركه فحسب، بل وأيضًا المكان الذي سيتدفق إليه لأنه سيملئه محدثًا ألم ومرض. وإذا خرج شيئًا منها خارج الجسم بكثرة، فينتج الألم عن فراغه. وإذا عاد مرة أخرى إلى الداخل وتغير مكانه وانفصل عن الباقية، فإن ذلك بالضرورة يسبب ألمًا مضاعفًا - كما ذكرنا- في الموضع الذي خرج منه والموضع الذي تدفق إليه."

" طبائع الإنسان قد تكون جيدة أو سيئة وفقاً للفصول، فبعضها قد يتكيف مع الصيف، وبعضها مع الشتاء، وبعضها قد يكون جيداً أو سيئاً متكيفاً مع الأماكن، والأعمار، والأنظمة الغذائية، والحالات الصحية الأخرى."

ويذهب الطبيب كارلوس جالماريني Carlos M. Galmarini أن السرطان – وفقاً لمذهب هيبوكراتيس- يعد مرضاً جهازياً؛ إذ تم تفسير حدوث هذا النوع من الأورام في ضوء نظرية الأخلاط الأربعة، أي بسبب تدفق وتراكم أحد الأخلاط في الجسم. كما اعتبر هيبوكراتيس السرطان مرضاً يصيب الجسم كله وليس فقط عضو بعينه. وحينئذ بدأ الطب المعاصر في تبني هذه النظرة، فأصبح يعتبر أن السرطان هو مرض عام (أي يصيب الجسم كله) أكثر منه مرضاً موضعياً.¹

أما عن السائل المتسبب في حدوث هذا النوع من الأورام، فيخبرنا جالينوس أن تراكم المرارة السوداء في الجسم أو في جزء من الجسم هو السبب في حدوث السرطان.

“Χωρίς δὲ τοῦ ζεῖν ἢ μέλαινα χολὴ τοὺς καρκίνους ἐργάζεται .

،،2

كما أن هذا السائل (المرارة السوداء) يتسبب في حدوث أورام سرطانية متفرحة وغير متفرحة وذلك وفقاً لحدته وقوته. وبسبب طبيعته تكون الأوردة الممتدة من وإلى هذا الورم أكبر وأكثر من الأوردة التي تتمدد في حالة الأورام الالتهابية، وكذلك فإن لون هذه الأوردة يكون داكناً مثل لون المرارة السوداء وليست حمراء مثل الأورام الالتهابية.³

وتفسيراً لما سبق – وكما هو معروف في الطب الحديث- أن السرطان مرض يتصف بنمو الخلايا بطريقة غير طبيعية، ومع مرور الوقت تصبح هذه الخلايا أكثر شذوذاً وتكتسب قدرة على الانقسام بسرعة هائلة مؤدية إلى تكوين الأورام الخبيثة. وأن

¹ Galmarini C. M. (2020),” Lessons from Hippocrates: Time to Change the Cancer Paradigm”. P.2

² Galen. De tumoribus praeter naturam. Kuhn vol. 7 p. ٧٢٠. L.5

³ C.f. Galen. De tumoribus praeter naturam. Kuhn vol. 7 p. ٧٢٠. L. 5-12

هذه الخلايا السرطانية تتطلب نمو أوعية دموية جديدة كي تمتد هذا الورم بالأكسجين والمواد الغذائية^١. وبسبب التشابه بين أوعية هذا الورم وقدرة الخلايا على الانتشار وبين مخالب سرطان البحر، ألمح هيبوكراتيس في كتاباته تلك التي أطلق عليها في العصر الحديث سرطان.

ولكن تلميحات هيبوكراتيس تلك تختلف عن الطب الحديث في تفسير سبب حدوث هذا الورم، فبينما أرجع الطب الحديث سبب حدوث السرطان إلى عوامل وراثية ، وكيميائية ، وبيئية، ومناعية^٢ أرجع هيبوكراتيس وأتباعه سبب تكوين تلك الأورام إلى تراكم أحد السوائل في الجسم، ولا سيما بسبب فائض في نسبة المرارة السوداء، كما تم توضيحه أعلاه.

• الفرق بين المصطلحين $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omicron\varsigma$ و $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omega\mu\alpha$ في ضوء كتابات المجموعة الأبقراطية ومدلول كل منهما

استخدم الأطباء الأبقراطيون مصطلحين هما $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omicron\varsigma$ و $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omega\mu\alpha$ من أجل الإشارة إلى الأورام التي اعتبروها سرطانات. ولكن أي من هذين المصطلحين تم استخدامه للإشارة تحديداً إلى السرطان؟ وهل كان مفهوم السرطان في كتابات المجموعة الأبقراطية نفس المفهوم الذي نعرفه اليوم؟ سنجيب على هذه الأسئلة من خلال تحليل نصوص المجموعة الأبقراطية التي ورد فيها هذان المصطلحان من الناحيتين اللغوية والطبية، ومن خلال عرض الأعراض المذكورة مع المصطلحين.

استخدم الأطباء الأبقراطيون مصطلح " $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omicron\varsigma$ " من أجل الإشارة إلى الحالات التي قاموا بتشخيصها على أنها أورام سرطانية مقترحة، يتجلى ذلك بوضوح في إحدى فقرات كتاب "تقدمة المعرفة Prorrhethicon II" ، حيث يُقدم الطبيب الأبقراطي تحليلاً دقيقاً لهذه الحالات، مُقارناً بينها وبين الإصابات المقترحة الأخرى، فيقول:

^١ كوبر، جيفري، (٢٠٠٤) السرطان دليل لفهم الأسباب والوقاية والعلاج، ص ٣٥ وما يليه

^٢ كوبر، (٢٠٠٤)، ص ٧١ وما يليه

"ينبغي على الذي يريد أن يعرف عن أنواع القرحة ومآل كل منها، أن يتعرف بوضوح أولاً على الأنواع المختلفة من البشر، من هم أفضل حالاً، ومن هم في حال أسوأ. ثم يجب أن يعرف في أي الفئات العمرية يصعب علاج القرحة. كما يجب أن يلاحظ كيف تختلف أجزاء الجسم بعضها عن بعض، ويجب أن يعرف المآلات السيئة والجيدة التي تتبعها؛ حيث إذا عرف الفرد كل هذه الأشياء فسوف يعرف أيضاً مآل كل حالة، بينما إذا جهلها فلن يعرف مآل القرحة. الآن الأنواع التالية من المرضى هم الأفضل حالاً: شخص رشيق ومتناسب جسدياً وأعضائه الداخلية صحيحة، يجب أن يكون لونه فاتحاً أو داكناً أو أحمر الخدود- فكل هذه علامات جيدة طالما لم تختلط- إما إذا كان لونه مصفراً أو أصفر مخضر أو محتقن اللون فهذا سيء نوعاً ما. أما أنواع المرضى الذين هم على النقيض مما تم ذكره للتو فينبغي أن تعرف أنك أمام النوع الأسوء. وفيما يتعلق بالفئات العمرية، فإن الأطفال هم في الغالب الذين يعانون من درنات (أورام)، وخراجات وداء الخنازير، ولكن يتخلصون منها بسهولة شديدة. وتظهر هذه القرحة بشكل أقل عند الأطفال الأكبر سناً والشباب صغير السن ولكن يتخلصون منها بصعوبة أكبر. وفي الأشخاص البالغين من غير المحتمل أن تحدث مثل هذه الأورام، ولكن من المحتمل أن تحدث أكياس شمعية¹ κηρία أو سرطانات خفية κρυπτοὶ καρκῖνοι عميقة، أو الهربس الذي ينشط ليلاً، ويستمر هذا معهم حتى يتجاوزوا سن الستين. وفي كبار السن لا يحدث أي نوع من الأورام السابقة، ولكن تظهر السرطانات الخفية والسطحية وتبقى معهم حتى الموت. ويصعب علاج هذه السرطانات عندما تنشأ في أجزاء الجسم مثل الإبط والخاصرة والفخذين، حيث تحدث فيها الرواسب والانتكاسات. ومن الأعضاء المصابة بالقرحة أخطرها الأصابع الكبيرة وخاصة من القدم."²

¹ أكياس تشبه شمع العسل، وهذه الأكياس منها ما يكون كالعجين وعادة لا يكون ليناً هو ما يمكن أن نطلق عليه ورم شمعي، وعادة ما يكون الورم الشمعي غير سرطاني وغير مؤذ، ويحدث غالباً للأشخاص في منتصف أعمارهم.

² Hippocrates. Prorrhethicon. II, 11.L.1ff

يصنف هيبوكراتيس في هذه الفقرة أنواع القرحة؛ وذكر منها الأورام φύματα والخراجات ἔμψα وداء الخنازير χοιρώδεα والهريس ἔρπητες والسرطانات .καρκῖνοι. ويتوافق ذلك إلى ما يتعارف عليه الطب المعاصر من أن كل من الأورام الحميدة والخبيثة يمكن أن تظهر على هيئة كتل أو قرحة.

ونجد أن الطبيب الأبقراطي في هذه الفقرة تنبأ إلى حدوث السرطان بشكل خاص عند كبار السن، وهذا هو المتعارف عليه في الطب الحديث^١. كما ذهب إلى أن مثل هذا السرطان لا علاج له بل يبقى مع المريض حتى وفاته، وهو ما يتوافق مع نتائج الطب الحديث، حيث تشير الإحصائيات إلى أن حوالي ٧٠% من حالات الوفاة الناجمة عن السرطان تُسجل لدى الأشخاص الذين تبلغ أعمارهم ٦٥ عامًا أو أكثر^٢. ويُعزى ارتفاع معدلات الوفيات بالسرطان في كبار السن إلى عدة عوامل، تشمل التغيرات المرتبطة بالمر، فمع تقدم العمر تتأثر جميع أجهزة الجسم وتتراكم عليها التغيرات التي تؤدي إلى أمراض الشيخوخة وفشل الأعضاء. وتؤثر هذه التغيرات على فعالية الأدوية المستخدمة في علاج السرطان، حيث تقل قدرة الجهاز الهضمي على امتصاصها، مما يُطيل فترة استقلالها ويُزيد من سميتها^٣. بالإضافة إلى أن مع طول عمر الإنسان يزداد تعرضه للعوامل المسرطنة ويتراكم تلف الحمض النووي، مما يؤدي إلى حدوث طفرات جينية^٤.

أما عن علاج الأورام السرطانية كأحد أنواع الأورام والقرحة الأخرى، فنصح هيبوكراتيس بأخذ بعض المعايير بعين الاعتبار مثل الحالة العامة للمريض، وعمره، ونوع الورم، وموضعه، فذكر على سبيل المثال أن الموضع التي يصعب علاج الأورام فيها هي منطقة الإبط والفخذين، ويرجع ذلك إلى أن معظم سرطانات هاتين المنطقتين هي

^١ للمزيد عن العلاقة بين السرطان والعمر انظر: كوبر، (٢٠٠٤)، ص ٢٤ - ٢٧

^٢ Estapé T. (2018). Cancer in the Elderly: Challenges and Barriers. P. 40

^٣ Marosi, C., & Köller, M. (2016). Challenge of cancer in the elderly. Pp. 2-3

^٤ Cinar, D., & Tas, D. (2015). Cancer in the elderly. P. 74

سرطانات ثانوية تكون منتشرة من سرطانات أولية، مما يعني أن حالة المريض تكون متأخرة.¹

يوضح ذلك براعة الأطباء الأبقراطيون في فهم طبيعة المرض، إذ أن الربط بين العوامل البيئية، والفئات العمرية، والأنظمة الغذائية، والأنشطة اليومية وبين صحة الإنسان ومرضه هو ابتكار أبقراطي ولازال متبعًا حتى يومنا هذا في الطب الحديث، بل أكدت نظريات الطب الحديث على أهمية هذا الربط.

ونستشف من الفقرة السابقة أن الأطباء الأبقراطيين استخدموا مصطلح "καρκίνος" من أجل الإشارة إلى الأورام التي اعتبروها أورام سرطانية متفرحة. كما نجحوا في تمييز الآفات التفرحية المصاحبة لهذه الأورام عن غيرها من الآفات التفرحية المصاحبة لأمراض كتلية أخرى. وهذا يشير إلى فهم هؤلاء الأطباء لطبيعة مرض السرطان "καρκίνος"، ولكن هل نجحوا في تشخيصهم لكل الحالات التي اعتبروها سرطانية؟ أم أخفقوا في تشخيص بعض الحالات؟

نجد أن هيبوكراتيس قد استخدم نفس المصطلح "καρκίνος" من أجل الإشارة إلى السرطانات الخفية، والتي ينصح بعدم علاجها؛ إذ أن علاجها قد يؤدي إلى الموت سريعًا؛ فيقول:

“Ὀκόσοισι κρυπτοὶ καρκίνοι γίνονται, μὴ θεραπεύειν βέλ-
τιον· θεραπευόμενοι γὰρ ἀπόλλυνται ταχέως, μὴ θεραπευόμενοι
δὲ, πούλυν χρόνον διατελέουσιν.” [Hippocrates. Aphorismi. VI. 38]

"إذا حدث لأي من الأشخاص سرطانات خفية، فالأصلح ألا تعالج، فإن عولجت هلك (المريض) سريعًا وإن لم تعالج بقي زمانًا طويلًا"

¹ Karpozilos, A., & Pavlidis, N. (2004), The treatment of cancer in Greek antiquity, P. 2033

اختلف الشراح لفصول هيبيوكراتيس في تحديد المراد من لفظ "خفي" κρυπτος^١ الوارد عند هيبيوكراتيس، فمنهم من رأى أنه سرطان في طور النشأة أي البادئ في الظهور^٢، ومنهم من يرى أنه سرطان غير متقرح^٣، ومنهم من يرى أنه السرطان الحادث في أعضاء غير ظاهرة كسرطان الحلق والفم والرحم والفرج^٤. كما اختلفوا فيما بينهم بشأن العلاج المقصود في هذه الفقرة الواردة عن هيبيوكراتيس، هل المراد بذلك العلاج بالكي أم المراد الاستئصال الجراحي، وهما نوعي العلاج المعروف للسرطان في زمن هيبيوكراتيس.^٥

ويميل ابن القف^٦ - وهو أحد شراح فصول أبقراط- إلى أن وصف السرطان بالخفي هنا المقصود منه هو ذلك السرطان الذي يصيب الأعضاء الباطنة، وأن مثل هذا السرطان يصعب علاجه بالكي أو الجراحة؛ وذلك لصعوبة استئصال العروق الممتدة منه والواصلة إليه، ووينتج عن بقائها تقرح يصيبها، وزيادة المادة الفاسدة مما يؤدي إلى الموت.^٧

¹Liddle and Scott, Greek- English Lexion, New York, S.V. κρυπτος

² Pormann, P., Karimullah, K.,et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لابن أبي صادق P. 23

³ Pormann, P., Karimullah, K.,et (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لعبد اللطيف البغدادي P. 33

⁴ Pormann, P., Karimullah, K.,et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لابن أبي صادق P. 23 و Pormann, P., Karimullah, K.,et (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لعبد اللطيف البغدادي P. 33

⁵ Pormann, P., Karimullah, K.,et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لابن أبي صادق P. 23 و Pormann, P., Karimullah, K.,et (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لعبد اللطيف البغدادي P. 33

⁶ Pormann, P., Karimullah, K.,et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لابن أبي صادق P. 23 و Pormann, P., Karimullah, K.,et (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لعبد اللطيف البغدادي P. 33

⁷ هو أبو الفرج بن القف طبيب نصراني ولد في مدينة الكرك عام ٦٣٠ هجرية وتوفي عام ٦٨٥ هجرية. وهو أحد شراح كتاب الفصول لأبقراط بعد ان قام بدراسته وحفظه، ومن أعماله الأخرى هو كتاب الشافي في الطب، وكتاب العمدة في صناعة الجراح، وشرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا. للمزيد أنظر: ابن أبي أصيبعة (١٨٨٢)، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ج٢، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

⁷ Pormann, P., Karimullah, K.et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لأبي الفرج ابن القف,pp. 45-46

ووفقاً لجالينوس أن السرطان إذا كان باطنياً لا يبرأ بهذا العلاج، وأن التجربة خير دليل على ذلك؛ فهناك قوماً قاموا بقطع وكي سرطان في أعلى الفم، وآخرون قاموا بذلك في سرطان حدث في أعلى المقعدة، وآخرون قاموا بعلاج سرطان في فرج امرأة، ولا أحد منهم استطاع إدمال القرحة، بل عذبوا المرضى بهذه الطريقة حتى ماتوا.¹

والجدير بالذكر أن الطب الحديث صنف مراحل تطور السرطان إلى مرحلة مبكرة، ومرحلة وسطى، ومرحلة متقدمة وذلك وفقاً لثلاثة عوامل، العامل الأول هو حالة الورم الأصلي، والثاني هو حجم الورم ومدى انتشاره في الغدد الليمفاوية المجاورة، أما العامل الثالث فيتمثل في مدى انتشار الورم في أعضاء أخرى من الجسم.²

ومن الواضح أن الحالات الثلاث التي عرضها جالينوس كانت حالات متقدمة لم تستجب للعلاج، بل ظل المرضى يعانون من آثار هذا العلاج حتى ماتوا. ويتماشى هذا مع الطب المعاصر حيث أن حالات السرطان المتقدمة والمنتشرة لا ينبغي علاجها جراحياً³. وهذا التفسير يرجح أن استخدام مصطلح **καρκίνος** في هذه الفقرة يشير إلى السرطان بمفهومنا الحديث.

كما استخدم هيبوكراتيس أيضاً مصطلح **سرطان خفي** في مؤلفه "عن أمراض النساء *De mulierum affectibus- Γυναικείων*"، وذلك في إحدى الفقرات التي يصف فيها حالة متقدمة من سرطان الثدي، حيث يخبرنا هيبوكراتيس عن حالة تعاني فيها النساء من أعراض مشابهة للحمل، وتستمر هذه الأعراض سبعة أو ثمانية أشهر؛ حيث تنمو البطن مع مرور الوقت، ويرتفع الثديان، ويبدأ تكوين الحليب. ولكن بمرور هذا الوقت يصبح الثديان والبطن أكثر نحافة وأقل حجماً ويختفي اللبن، وعندما يحين الوقت

¹ Pormann, P., Karimullah, K. et al (2017) , المقالة السادسة من شرح جالينوس لفصول , pp. 76-79

² كوبر، (٢٠٠٤)، ص ٤٧
³ كوبر، (٢٠٠٤)، ص ١٦١-١٦٣

<https://www.cancer.org/cancer/managing-cancer/advanced-cancer/managing-symptoms.html> (accessed July 4, 2024)

الذي يجب أن تلد فيه المرأة تضعف البطن وتتكمش. ومع حدوث ذلك يتقلص الرحم في فترة قصيرة، ولا يمكن العثور على عنق الرحم؛ حيث يتجمع كل شئ ويلتصق مع بعضه، وتتكون أورام صلبة في الثديين، بعضها كبير وبعضها أصغر حجمًا، ولا تخرج هذه الأورام صديدًا بل تزداد صلابة مع مرور الوقت، ومن هذه الأورام تنمو السرطانات الخفية *καρκῖνοι κρυπτοί*. وعندما تقترب هذه السرطانات من الظهر، تشعر المريضات بمرارة في أفواههن، وكل شيء يأكله يبدو لهن مرًا، وإذا أعطيتهن المزيد ليأكلنه فإنهن يرفضن ذلك. كذلك تصاب المريضات بالهذيان، وتصبح أعينهن صلبة ولا تبصرن بوضوح، وتمدد الألام من الثدي إلى الرقبة وعظم الكتفين، ويتملكهن العطش، وتصبح الحلمات جافة، ويصاب الجسم كله بالهزال، وتصبح أنفهن جافة ومسدودة، ولا يتنفسن، بل يكون التنفس صعبًا، ويفقدن حاسة الشم، كما أنهن لا تعانين من ألم في الأذنين ولكن في بعض الأحيان تعانين من صلابة. عندما تصل المريضات إلى هذه المرحلة لا يمكن أن يتعافين، لكنهن يمتن من هذا المرض.¹

أوردت أبحاث حديثة في مجال الطب بعض الأعراض الشائعة لسرطان الثدي، والتي تشمل: تورم الثدي كله أو جزء منه، ألم في الثدي أو عنق الرحم، تغير جلد الحلمة أو الثدي كأن يصبح جافًا أو متقشرًا أو سميكًا أو ظهور احمرار وطفح جلدي، تغير في شكل وحجم الثدي، وجود إفرازات في الحلمة، وفي حالات انتشار السرطان في الجسم، يكون هناك ألمًا في العظام، أو تورم العقد اللمفية، أو ضيق في التنفس أو اصفرار الجلد.² ووفقًا لجمعية السرطان الأمريكية، تشمل بعض الأعراض العامة للسرطان التعب الشديد، وفقدان الوزن، وفقدان الشهية، ومشاكل في الرؤية، وتغيرات في الفم، وغيرها.³

ويتضح مما سبق أن الأعراض التي ذكرها هيبوكراتيس تتفق مع أعراض سرطان الثدي المتقدمة في الفكر الطبي الحديث، بل إن بعض هذه الأعراض تشير إلى

¹ C.f. Hippocrates. De mulieum affectibus.II. Ch. 133, L. 9- 31

² Lina L. (2021) Signs and Symptoms of Breast Cancer. P. 1

³ Lina L. (2021) p. 1-2

انتشار السرطان خارج الثدي إلى أعضاء أخرى من الجسم؛ فالشعور بآلام في الرقبة والكتفين يدل على احتمالية انتشار الورم إلى العقد الليمفاوية أو العظام في هذه المناطق، بينما قد يشير إصابة المريضات بالهذيان واضطراب الرؤية وفقدان حاسة الشم إلى أن ثانويات الورم قد وصلت إلى المخ. ويشير ضيق التنفس إلى أن الورم قد وصل إلى الرئتين. ويدعم ذلك كله ما تعانيه المريضات من هزال عام في الجسم. ولا شك أن هذه الحالة من تقدم الورم يعقبها الوفاة في خلال فترة قصيرة.

وهذا ما يؤكد الدراسات السابقة التي أجريت على تاريخ سرطان الثدي، حيث أكدت هذه الدراسات صحة تشخيص هيبوكراتيس لهذه الحالة بأنها سرطان ثدي، ولعل أشهر هذه الدراسات هي الدراسة التي قدمها William L. Donegan¹. كما ذهب Louise و François إلى أن الأورام الصلبة التي قد تتحول إلى سرطانات خفية – كما قال هيبوكراتيس- من الممكن أن تعبر عن خلل التنسج الليفى الذي يسبق السرطان.² وبهذا يكون الطبيب الأبقراطي قد نجح في تشخيص هذه الحالة على أنها ورم خبيث ونجح في استخدام كلمة *καρκίνος* في تشخيصه لهذه الحالة.

أما بشأن العلاج، فلم يذكر هيبوكراتيس علاج لهذه الحالة، بل ذكر ان المريضات لن يتعافين بل يمتن بهذا المرض، وهذا يتوافق مع مبدأ العام في العلاج حيث يخبرنا هيبوكراتيس في أحد فقرات المقالة السابعة من كتاب الفصول أن:

“Ὅκοσα φάρμακα οὐκ ἰῆται, σίδηρος ἰῆται· ὅσα σίδηρος οὐκ ἰῆται, πῦρ ἰῆται· ὅσα δὲ πῦρ οὐκ ἰῆται, ταῦτα χρῆ νομίζειν ἀνίατα.” [Hippocrates. Aphorismi. VII. 87]

" ما لا يمكن علاجه بالأدوية يتم علاجه بالسكين، وما لا يمكن علاجه بالسكين، يتم علاجه بالحرق، وما لا يمكن علاجه بالحرق يجب اعتباره غير قابل للشفاء."

¹ Donegan W. L. (2006) History of breast cancer, p. 3

² Retief F. P. & Cilliers L. (2011) Breast cancer in antiquity. P. 514

على الرغم من دقة تشخيص هيبيوكراتيس لبعض حالات السرطان، إلا أن ذلك لا يعني خلوّ الطب الأبقراطي من الأخطاء في تشخيص بعض الحالات الأخرى على أنها سرطانات، ففي بعض الحالات، واجه الأطباء الأبقراطيون صعوبة في تمييز الأورام السرطانية عن الحالات المرضية الأخرى.

وأحد الأمثلة على ذلك هو ما ذكره هيبيوكراتيس في إحدى فقراته عن الأعراض المبكرة للسرطان، حيث استخدم مصطلح سرطان "καρκίνος" ، ولكن لم يتضح من تشخيصه ما إذا كانت هذه الحالة ورمًا سرطانيًا بالفعل أم حالة مرضية أخرى، حيث يقول:

“καρκίνου γενομένου, τὸ στόμα πικραίνεται·

διδόναι δὲ πίνειν ἐλατήριον δις ἢ τρίς, ἢν μὴ ψιλὸς ἦ· ἐπίδειν
δεῖ χαλκοῦ ἄνθος, καύσας ἕως ἂν πυρρὸν ἦ, καὶ σπογγίνην, ἢν
μὴ ψιλὸς ἦ.” [Hippocrates. Epid II.6. 22b]

"عند حدوث السرطان تحدث مرارة في الفم، فامنع (المريض) شرابًا مسهلًا مرتين أو ثلاث مرات، إلا إذا كان المريض ألتعًا^١. ثم ألق به برادة النحاس بعد أن تقوم بتسخينها حتى الاحمرار ثم (ضع عليه) اسفنجة، إن لم يكن المريض ألتعًا."

استخدم هيبيوكراتيس في هذه الفقرة مصطلح **καρκίνος** لوصف ورمًا من أعراضه حدوث مرارة في الفم، ونصح هيبيوكراتيس باستخدام أدوية مسهلة أولًا؛ وذلك لتنقية الجسم من الخلط المسبب لهذا الورم، ثم نصح بكي الورم ببرادة النحاس الساخنة حتى درجة الاحمرار.

وقد ذهب جالينوس – في تفسير لهذه الفقرة من كتاب الأوبئة لهيبيوكراتيس- أن سبب حدوث مرارة في الفم مصاحبة للسرطان يرجع إلى أن الخلط الذي يتولد منه

^١ الألتع هو الشخص الذي يقلب في نطقه حرفًا بحرفٍ آخر، كأن يجعل السين ثاءً أو الراء غينًا. انظر معجم اللغة العربية المعاصرة (٢٠٠٨)، ص ١٩٩٣

السرطان هو المرارة السوداء، والتي تنشأ إما من المرارة الصفراء إذا احترقت، وإما من الدم الغليظ إذا تعفن أو احترق. وإن حدوث السرطان من المرارة الصفراء عند انقلابها إلى السوداء تسبب مرارة في الفم. كما فسر أن هيبوكراتيس قد أشار إلى استخدام المسهلات من أجل تفريغ هذا الخلط، وأن تناول المريض الأدوية المسهلة أكثر من مرة يضمن تنقية الجسم تمامًا من هذا الخلط. ويذهب جالينوس إلى أن هيبوكراتيس إنما حذر من إسهال الشخص الألتغ لأنه لا يحتمل الإسهال؛ لأن اللثغة إما قد حدثت لهم بسبب طبيعتهم الجافة، أو بسبب ضعف القوة التي تحرك هذا العضل، والإسهال من أضر الأشياء في الجفاف وفي ضعف القوة. ثم أنه بعد التفريغ يجب وضع برادة النحاس المحروق على موضع المرض أي كي الورم، لاستئصال السرطان والخلط المسبب له. ويقول جالينوس أن السرطان قد تصاحبه قرحة وقد لا تصاحبه، فإن لم تكن تصاحبه قرحة فإن هذا العلاج لا يجدي، ولكن إذا كان يصاحبه قرحة فإن هذا العلاج ينقي البطن تمامًا من الخلط المسبب للسرطان ويستأصله. وإن استخدام الاسفنج المبلول بالماء البارد في مثل هذه القروح بالغ النفع، ولكن إذا كان المريض ألتغًا فلا يحتاج إلى مثل هذا العلاج لأن اللثغة تحدث لذوي الطبيعة الجافة وهذا العلاج يعتبر مجفف قوي.¹

والجدير بالذكر أن المرارة في الفم هو عرض شائع في الكثير من أمراض الجهاز الهضمي والأمراض العامة بالجسم وليست قاصرة على السرطان فقط، وعلى الرغم من أن العلاج الذي ذكره هيبوكراتيس في هذه الفقرة والذي يتركز حول الكي هو أسلوب يتم استخدامه كثيرًا في علاج الأورام، إلا أن هذه التقنية العلاجية استخدمها هيبوكراتيس في علاج مجموعة واسعة من الأمراض، فعلى سبيل المثال استخدم هيبوكراتيس وتلاميذه الكي لعلاج الدبيلة² والخراج³ والبواسير¹. وبالتالي، يصعب تحديد

¹ Vagelpohl, U. (2016). Galeni in Hippocratis Epidemiarum Librum II Commentarium I- VI Versio Arabica. Vol. II Commentaria IV-VI. De Gruyter. Pp. 894- 902

² Cf. Hippocrates. Morb. III. 16.

³ Cf. Hippocrates. Morb. II. 60. L. 9

ما إذا كان هيبوكراتس قد قصد بالفعل تشخيص السرطان باستخدام كلمة "καρκίνος" في هذه الفقرة، أو أنه كان يشير إلى مرض آخر يُسبب نفس الأعراض المذكورة ويعالج بالكي أيضًا.

وفي مثال آخر، نجد أن الطبيب الأبقراطي لم ينجح في تشخيصه لحالة اعتبرها قرحة سرطانية مصاحبة للبواسير، وهي حالة المريض الذي يُدعى ايوديموس من مدينة لاريسا، والذي يذكر الطبيب أنه كان يعاني من البواسير الشديدة، تسببت له مع مرور الوقت في النزيف والصفراء، لكن ظل جسده هادئًا. بينما كانت أمعائه السفلية مضطربة. وخرجت المادة الصفراوية، وبرزت البواسير. وشرب المريض الأدوية المليئة وتم تطهير بطنه جيدًا، وشرب مرة أخرى عصيدة الشعير وشعر بالآلام في منطقة أعلى البطن. ويخبرنا الطبيب أن في هذه الحالة تم علاج المريض من البواسير ولكن المعدة لم تكن بحالة جيدة، لذا فهو لا يزال بحاجة إلى العلاج وإحداث القيء. وفي وقت لاحق بعد دهن القرحة السرطانية **καρκίνου** المصاحبة للبواسير، أصيب بحمى. وعندما توقف إيوديموس عن الارتعاش، اشتدت الحمى، وخرجت بعض الغازات والصفراء من الجسم، وبقي بعضها، مما سبب له آلامًا في البطن. وكانت البواسير خارج فتحة الشرج طوال الوقت، بدأت هذه الأعراض بعد أن عطس، واستمرت الحمى حتى وفاته.²

على الرغم من أن هذه الحالة تُعد من الحالات التاريخية المهمة، إذ تلفت النظر إلى أحد الأعراض غير التقليدية للسرطان، وهي أن يشكو مريض قرحة سرطان المستقيم من إحدى مضاعفاتها وهي البواسير الشرجية، ويكون هذا للأسف في مرحلة متقدمة من المرض. إلا أن الطبيب الأبقراطي اعتبر هنا أن القرحة السرطانية مصاحبة للبواسير، وأن العلاج الخاطئ للبواسير هو المتسبب في الوفاة. فالطبيب هنا لم يوفق في استخدام كلمة **καρκίνος**، حيث استخدم المصطلح للإشارة إلى قرحة مصاحبة للبواسير وليس إلى السرطان كما نعرفه اليوم.

¹ Cf. Hippocrates. De Haemorrhoidibus. II.

² Cf. Hippocrates. Epidemiae. V. 20

من خلال الفقرات السابقة، يتضح أن هيبوكراتيس وتلاميذه قد استخدموا مصطلح "καρκίνος" بشكل أوسع من مجرد الإشارة إلى الأورام التي اعتبروها سرطانية، إذ قد ميزوا بين الأورام السرطانية المتقرحة وغير المتقرحة، واستخدموا مصطلح "καρκίνος" للإشارة إلى السرطانات المتقرحة وفقاً لتشخيصهم، إلا أن هذا التشخيص لم يكن دقيقاً في بعض الحالات كما رأينا، ذلك أن التشخيص الدقيق يستلزم أدوات طبية متطورة لم تكن موجودة في عهد هيبوكراتيس.

أما من أجل الإشارة إلى الأورام السرطانية غير المتقرحة، استخدم أطباء المجموعة الأبقراطية مصطلح "καρκίνωμα"، ويتضح ذلك من الفقرة الآتية والتي يتحدث فيها هيبوكراتيس عن سرطان الثدي، حيث يقول:

“ Γυνακί, ἐν Ἀβδήροισι, καρκίνωμα ἐγένετο περὶ τὸ στῆθος, καὶ διὰ τῆς θηλῆς ἔρρεεν ἰχώρ ὕφαιμος· ἐπιληφθείσης δὲ τῆς ῥύσιος, ἔθανεν. ” [Hippocrates. Epidemiae. V. 101]

"بشأن امرأة من أديرا مصابة بالسرطان في الثدي، كان هناك سائل دموي يتدفق من حلمة ثديها. عندما انقطع تدفق هذا السائل ماتت."

تشير كلمة الإيخور **ἰχώρ** في الأساطير الإغريقية إلى الدم الخالد أي دم الآلهة¹. وفي الطب الأبقراطي تم استخدام الكلمة للإشارة إلى إفراز أو سائل مائي أو قيحي يخرج من الجرح أو القرحة. أي ما يتدفق عندما تتحلل الأجزاء اللحمية من الجسم².

توصلت العديد من الدراسات التي أجراها أطباء على هذه الفقرة بالتحديد إلى أنها تشير إلى حالة سرطان الثدي، فقد ذهب K.E. Lukong إلى أن معظم حالات إفرازات

¹ يخبرنا هوميروس في الكتاب الخامس من الإلياذة: بأن عندما طعن ديمويديس الإلهة أفروديتي وأصاب يديها، تدفق منها الدم الخالد للآلهة وهو الإيخور **ἰχώρ**. واعتبر هوميروس أن الإيخور هو دم الآلهة المباركة؛ لأن الآلهة لا يأكلون الخبز ولا يشربون الخمر، لذا فهم بلا دماء وخالدين. راجع Hom. II. V. 335-43

² Grmek, M. D., (1989) Diseases in the ancient Greek world, p. 351

الحلمة هي حالات سرطان الثدي،^١ واتفق معه William L. Donegan على أن هذه الحالة هي حالة سرطان الثدي.^٢ كما اعتبرا Louise و François Pieter Retief و Cilliers هذه الحالة قد تكون أول حالة حقيقية لسرطان الثدي في التاريخ.^٣

وبالفعل يُعدّ خروج سائل دموي من الحلمة من الأعراض الشائعة لسرطان الثدي، ويمكن تفسير انقطاع تدفق هذا السائل بأن الورم قد ازداد في الحجم حتى تسبب في انسداد قنوات الحلمة، فتوقف السائل عن الخروج، وقد أعقب ذلك أن المريضة قد توفيت بسبب تضخم الورم السرطاني. لذا فنتفق مع الدراسات السابقة أن استخدام مصطلح **καρκίνωμα** في هذه الفقرة يشير إلى ورم سرطاني غير متقرح. وأن الطبيب الأبقراطي قد نجح في تشخيص هذه الحالة كورم خبيث.

ولكن نجد مرة أخرى أن على الرغم من تمييز الأطباء الأبقراطيين بين الأورام السرطانية المتقرحة وغير المتقرحة، وعلى الرغم من نجاح تشخيصهم في بعض الحالات أنها سرطانات، إلا أن تشخيصاتهم لم تكن دقيقة دائماً. وأن بعض الحالات التي استخدموا لها مصطلح سرطان لم تكن أوراماً سرطانية في الواقع. إما لا تتوافق أعراض هذه الحالات أو علاجها أو مآلها مع السرطان.

ف نجد في هذه المرة أن الطبيب الأبقراطي استخدم مصطلح "καρκίνωμα" للإشارة إلى ورم تم علاجه وشفائه، حيث يقول هيبوكراتيس:

“Ὁ τὸ καρκίνωμα τὸ ἐν τῇ φάρυγγι καυθεῖς, ὑγίης ἐγένετο ὑφ' ἡμέων.” [Hippocrates. Epidemiae. VII. 111]

"الشخص الذي تم كي سرطان بلعومه، تم شفائه على يدي"

¹ Lukong K. E. (2017) Understanding breast cancer : The long and winding road, p. 67

² Donegan W. L. (2006) p. ٣

³ Retief F. P. & Cilliers L. (2011) Breast cancer in antiquity. P. 513

في هذه الفقرة، يستخدم هيبوكراتيس مصطلح "καρκίνωμα" لوصف حالة تم علاجها بنجاح بالكي. وعلى الرغم من أن Fred B. Lund في عرضه عن السرطان عند هيبوكراتيس اعتبر هذه الفقرة تشير إلى حالة سرطان بلعوم، ولكن لأن سرطان البلعوم من الصعب جدًا علاجه بالكي، فيتفق ما قاله هيبوكراتيس مع Louise و François أن هذه الحالة أقل احتمالًا لأن يكون سرطانًا بالمعنى الحديث، لذا فنرجح أن هذه الحالة كانت في الواقع قرحة التهابية في البلعوم.¹

وفي فقرة أخرى يتحدث فيها هيبوكراتيس عن ورم في الرحم ويصف علاجًا له فيقول:

“Γυναικὶ ὀκόταν αἱ ὑστέραι σκληραὶ γένωνται καὶ ἐς τὰ αἰδοῖα ἐξίωσι, καὶ οἱ βουβῶνες σκληροὶ γίνονται, καὶ καῦμα ἐν τοῖσιν αἰδοίοισιν ἐνῆ, **καρκινοῦσθαι** φιλέει πάντα. Ὅταν ᾧδε ἔχη, σικύου χρῆ τὸ ἔνδον τρῖψαι καὶ κηρίον, ὕδατος κοτύλην ἐπιχέας, ἐνεῖναι ἐς τὴν ἔδρην, καὶ καθαίρεται.” [Hippocrates. Epidemiae. II. 159]

" عندما يصبح الرحم متحجرًا ويضغط على الأعضاء التناسلية للمرأة، وعندما يتصلب الفخذ وتوجد حرارة في الأعضاء التناسلية، فهذه علامات التحول إلى السرطان. في هذه الحالة عليك بمعالجة الجزء الداخلي بالخيار البري وقرص من العسل، مع كوب من الماء، ووضعه في فتحة المهبل كمطهر."

في هذه الفقرة استخدم هيبوكراتيس الفعل **καρκινοῦσθαι** والذي يعني "يتحول إلى سرطان" والفعل هنا في صيغة المبني للمجهول من الفعل **καρκινώω** الذي يعني

¹ Lund F. B. (1935). Hippocratic Surgery. p 544 و Retief F. P. & Cilliers L. (2001) Tumours and Cancers in Graeco-Roman Times. P.346

يشبه أو يتحول لسرطان.¹ وذلك لوصف حالة مرضية في الجهاز التناسلي الأنثوي، تتميز بتصلب الرحم وتضخم الغدد الليمفاوية في الفخذ والشعور بالحرقان في الأعضاء التناسلية، ويقدم تشخيصًا محتملاً للسرطان؛ لذا استخدم الفعل الذي يشير إلى التحول للسرطان ولم يستخدم كلمة سرطان $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omega\mu\alpha$.

ورغم أن الأعراض التي ذكرها قد تشبه بعض أعراض سرطان الرحم من منظور الطب الحديث، حيث تعد آلام الحوض والضغط من أعراض سرطان الرحم، ولكنها من الأعراض النادرة؛ وذلك لأن الأعراض الأكثر شيوعًا لسرطان الرحم هي النزيف غير الطبيعي والإفرازات المهبلية قبل انقطاع الطمث وبعده، ساهمت هذه الأعراض في اكتشاف معظم حالات سرطان الرحم في حالة مبكرة قبل نمو الورم وظهور الضغط على الأعضاء التناسلية.² وفي الفقرة السابقة لم يذكر هيبوكراتيس أي من هذه الأعراض الشائعة، بالإضافة إلى أن العلاج الذي وصفه لا ينطبق على السرطان، بل يناسب أكثر حالات الالتهاب الشديد في الرحم، المعروفة الآن باسم "حمى النفاس".³ لذلك، من المرجح أن الحالة التي وصفها هيبوكراتيس هي التهاب شديد في الرحم وليس ورمًا سرطانيًا، على الرغم من استخدامه لمصطلح يشير إلى السرطان.

في ضوء ما تم عرضه يتضح أن الأطباء الإبقراطيين قد استخدموا مصطلحين لوصف الأورام التي اعتبروها أورام سرطانية، إحداهما هو " $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omega\mu\alpha$ " والآخر " $\kappa\alpha\rho\kappa\acute{\iota}\nu\omicron\varsigma$ ". يُشير الأول إلى الكتل السرطانية غير المتقرحة، أي تلك التي لا تزال مغطاة بالجلد أو الغشاء المغاطي. ويُشير الآخر إلى الكتل السرطانية المتقرحة، أي تلك التي فقدت غطائها الجلدي أو الغشائي. ومع ذلك، قد تكون هذه التفرقة غير واضحة في بعض الحالات. كذلك ينبغي ملاحظة أن بعض ما تم تشخيصه كسرطان لا يخضع بدقة لهذا التشخيص، إذ أن السمات التي اعتمدها الأطباء الإبقراطيون في التشخيص هي سمات نسبية وليست قاطعة وأهمها تشعب الكتلة، لذلك شبهوها بسلطعون البحر.

¹ https://morphologia_gr.en.enacademic.com/835116/%CE%BA%CE%B1%CF%81%CE%BA%CE%B9%CE%BD%CE%BF%CF%8D%CF%83%CE%B8%CE%B1%CE%B9 (accessed April 13, 2023)

² Boeckstaens, S. et al (2020). Signs and symptoms associated with uterine cancer in pre- and postmenopausal women. Pp. 5, 7

³ حمى النفاس أو العدوى النفاسية وهي حمى ما بعد الولادة، حيث يكون موقع المشيمة عبارة عن جرح كبير مفتوح تغزوه البكتيريا بسهولة. للمزيد عن حمى النفاس أنظر:

De Costa C. M. (2002). "The contagiousness of childbed fever": a short history of puerperal sepsis and its treatment. P. 668

الخلاصة

هاجم السرطان الإنسان منذ القدم، وقد عرفه الأطباء في العالم اليوناني ، ويُعد الطبيب اليوناني هيبيكراتيس هو أول من أطلق على هذا الورم اسم "سرطان" **καρκίνος**؛ بسبب التشابه بين الأوردة الممتدة من الورم وبين مخالب سرطان البحر. وميز الأطباء الأبقراطيون بين السرطانات التي تصاحبها قرح والتي لا تصاحبها قرح. كما ترى الباحثة – من خلال ما تم عرضه- أن كلمة خفي التي استخدمها هيبيكراتيس وتلاميذه لوصف السرطان في بعض الحالات، قد تشير إلى ما يعرف اليوم باسم "السرطان المتأخر"، ويُعزّز ذلك الرأي ما ذكره هيبيكراتيس من أن السرطانات الخفية من الأفضل أن تترك دون علاج.

ولكن رغم تعرفهم على السرطانات وعلى طبيعة هذه الأورام وقاموا بالتمييز بين القرح السرطانية والقرح الأخرى، وقد تعرفوا أيضًا على بعض الأعراض المصاحبة لهذه الأورام، وتمكنوا من علاج السرطان بالكي والاستئصال الجراحي. إلا أن تشخيصهم لجميع الحالات التي أبلغوا عنها على أنها سرطانية لم يكن دقيقاً في كل الحالات، بل كان تشخيصهم يعتمد فقط على الملاحظة السريرية. وهذا بالطبع لا يقلل من عظمة هؤلاء الأطباء، بل تعد إنجازات هيبيكراتيس في مجال تشخيص السرطان رائعة بالنظر إلى الإمكانيات المتاحة في عصره، إذ لم يتمكن الأطباء المحدثون من التفرقة بين أنواع الأورام واكتشاف الأورام السرطانية بشكل دقيق إلا مع اكتشاف الميكروسكوب في القرن الثامن عشر الميلادي.

كما ساعد فهم الأطباء الأبقراطيون للأورام التي قاموا بتشخيصها على أنها أورام سرطانية في فهم الأطباء المحدثون لطبيعة هذا المرض، باعتباره مرضاً جهازياً يؤثر على الجسم كله، وأن علاج هذا المرض لا يتم بالاستئصال والجراحة فقط، بل يجب أن يراعى في العلاج إعادة توازن الجسم كله، وأن يراعى السن والحالة الصحية ونوع الورم. وكل هذه الاعتبارات قد أفادت بالفعل الطب الحديث في علاج السرطانات، ومهدت الطريق للعديد من الأبحاث والتطورات في مجال علم الأورام.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر

- Empedocles, (1908) The Fragments, Texts and translation by William E. Leonard, The Open Court Publishing Co., London.
- Galen (1824) De Tumoribus Praeter Naturam, ed. By: Kühn, Karl Gottlob, Claudii Galeni Opera Omnia VII, Cnobloch, Leipzig.
- Galen (182٦) Ad Glauconem de Methodo, ed. By: Kühn, Karl Gottlob, Claudii Galeni Opera Omnia XI, Cnobloch, Leipzig
- Hippocrates (1957), Epidemics, trans. By W.H.S.Jones, Vol. VII, L.C.L. Harverd University press, Cambridge.
- Hippocrates & Littré E. (1849). De Haemorrhoidibus, Oeuvres complètes d'hippocrate. Vol. 6, J.B. Baillière.
- Hippocrates (1959), Humours, trans. By W.H.S.Jones, Vol. IV, L.C.L. Harverd University press, Cambridge.
- Hippocrates (1959), Nature of Man, trans. By W.H.S.Jones, Vol. IV, L.C.L. Harverd University press, Cambridge.
- Hippocrates & Littré E. (1861). Prorrheticon II , Oeuvres complètes d'hippocrate. Vol. 9, J.B. Baillière.
- Hippocrates,(1959), Aphorisms, trans. By W.H.S.Jones, Vol. IV, L.C.L. Harverd University press, Cambridge.
- Hippocrates & Littré E. (1853). De mulierum affectibus II, Oeuvres complètes d'hippocrate. Vol. 8, J.B. Baillière.

ثانياً المراجع

- ابن أبي أصيبعة (١٨٨٢)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٢، المطبعة الوهبية
- زايد، مصطفى (١٩٩٧): هيراكليس في الأدب والفن اليوناني القديم، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة طنطا

- سارتون، جورج (٢٠١٠): تاريخ العلم: ج ٢ العلم القديم للعصر الذهبي لليونان، ترجمة لفييف من العلماء، القاهرة
- كوبر، جيفري، (٢٠٠٤) السرطان دليل لفهم الأسباب والوقاية والعلاج، ت: رفعت شلبي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة
- Boeckstaens, S. et al (2020). Signs and symptoms associated with uterine cancer in pre- and postmenopausal women. Heliyon, 6(11), e05372.1-10
- Cinar, D., & Tas, D. (2015). Cancer in the elderly. Northern clinics of Istanbul, 2(1), 73–80.
- De Costa C. M. (2002). "The contagiousness of childbed fever": a short history of puerperal sepsis and its treatment. The Medical journal of Australia, 177(11-12), 668–671
- Donegan, W. L. (2006). History of breast cancer. Breast cancer, 1-14
- Estapé T. (2018). Cancer in the Elderly: Challenges and Barriers. Asia-Pacific journal of oncology nursing, 5(1), 40–42.
- Galmarini C. M. (2020). Lessons from Hippocrates: Time to Change the Cancer Paradigm. International journal of chronic diseases, 2020
- Grmek, M. D., (1989), Diseases in the ancient Greek world. Transl. by M. and L. Muellner. Baltimore, London, The John Hopkins University Press
- Haddow, A. (1936): “Historical Notes on Cancer from the MSS of Louis Westenra Sambon”, Proceedings of the Royal Society of Medicine, Vol. 29
- Inchingolo, F., Santacroce, L., Ballini, A., Topi, S., Dipalma, G., Haxhirexha, K., Bottalico, L., & Charitos, I. A. (2020). Oral Cancer: A Historical Review. International journal of environmental research and public health, 17(9).

- Karpozilos, A., & Pavlidis, N. (2004). The treatment of cancer in Greek antiquity. *European journal of cancer* (Oxford, England : 1990), 40(14), 2033–2040.
- Lina L. (2021) Signs and Symptoms of Breast Cancer. *Eur. J. Clin. Oncol.* 3 (S2),001
- Lukong K. E. (2017) Understanding breast cancer : The long and winding road. *BBA clinical*, 7, Pp. 64–77
- Lund F. B. (1935). Hippocratic Surgery. *Annals of surgery*, 102(4), 531–547.
- Marosi, C., & Köller, M. (2016). Challenge of cancer in the elderly. *ESMO open*, 1(3), 1-6
- Pormann, P., Karimullah, K. et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لأبي الفرج ابن القف, University of Manchester.
- Pormann, P., Karimullah, K. et al (2017) , المقالة السادسة من شرح , جالينوس لفصول أبقراط بترجمة حنين بن إسحق , University of Manchester.
- Pormann, P., Karimullah, K., et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لابن أبي صادق. University of Manchester
- Pormann, P., Karimullah, K., et (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لعبد اللطيف البغدادي. University of Manchester
- Pormann, P., Karimullah, K., et al (2017). المقالة السادسة من شرح فصول أبقراط لابن النفيس. University of Manchester
- Retief F. P. & Cilliers L. (2001) Tumours and Cancers in Graeco-Roman Times. *South African medical journal = Suid-Afrikaanse tydskrif vir geneeskunde*, 91(4), 344–348.
- Retief F. P. & Cilliers L. (2011) Breast cancer in antiquity. *South African medical journal = Suid-Afrikaanse tydskrif vir geneeskunde*, 101(8), 513–515
- Vagelpohl, U. (2016). Galeni in Hippocratis Epidemiarum Librum II Commentarioum I- VI Versio Arabica. Vol. II Commentaria IV-VI. De Gruyter.

